الآية الرابعة:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

أوّل الخلف هذه الآية بحيث يصير معناها عندهم هو :

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله فيما جاء بكتابه ، **وأطيعوا الرسول** فيما جاء بسنته ، **وأولى الأمر منكم** من العلماء الذين فقهوا الكتاب والسنة (عند السنية) ، **والأئمة** (عند الشيعة) .

وهو قول ينم عن تشوه فهمهم للآيات ، ولمنهجهم فى الاستدلال ، إذ اتبعوا أسلوب الاستظهار فى التعامل مع الأدلة فوقعوا فى جمل من الأخطاء التى لا علاقة لها بالأسلوب العلمى . وأنا أتمنى لهم التوفيق فيما هو آت ، وأتمنى أن يراجعوا أنفسهم قبل فوات الأوان .

ولكشف حجم المغالطة فسنتدبر كتاب الله لنعرف الحقيقة :

الحقيقة الأولى : اقتران الطاعة بالسماع

والطاعة تترتب على السماع ، وهو أمر بدهى مشاهد ومحسوس ولا يختلف عليه عاقل ، ولنراجع بعض ذلك من كتاب الله ! !

١ ـ يقول ﷻ :

﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ .

٢ ـ ويقول سبحانه :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ **(٥٥)** .

فالطاعة اقترنت بالسماع ، مع التحذير من مشابهة الذين قالوا :

" سمعنا وهم لا يسمعون " لأنهم قالوا :

" سمعنا وعصينا " .

فهم لا يسمعون لمعصيتهم وإدبارهم عن الحق ، وإنما يسمع المؤمنون فقط .

﴿ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ **(٥٦)** .

وقد أفاد سياق الآيات بنفس الموضع **أن الطاعة رهن بالسماع ، وأن السماع خاص بالآيات المتلوة** ، ولنستعرض الآيات لنتعلم كيف يكون فهم وتدبر كتاب رب العالمين ، يقول ﷻ :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ **(٥٧)** .

وهكذا نجد بالتدبر أن الطاعة قد قُرنت بسماع الآيات المتلوة كما هو هنا :

﴿ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ .

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ .

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ .

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ .

---

٥٥ ـ سورة (٨) الأنفال : ٢٠ ـ ٢١ .
٥٦ ـ سورة (٢٧) النمل : ٨١ .
٥٧ ـ سورة (٨) الأنفال : ٢٠ ـ ٣١ .

لما كانت الطاعة مقترنة بالسماع فمن المسلم به أنها تقع من الأحياء **الذين يسمعون** للأحياء **الذين يأمرون** . فلا يصح أن يُقال بميت يُطِيع ، أو بميت يُطَاع . ومعلوم أن النبى ﷺ بشر يموت كما يموت الناس :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ .

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ .

وعندما زيف الروائيون معنى الآية وغيرها من الآيات الناصّة على الطاعة أتوا بجملة مغالطات فقالوا (مثلاً) :

إن طاعة الرئيس أو الملك تكون عن طريق غيره من الموظفين ، فقاسوا قياسًا فاسدًا .

فالرسالة المبلغة ليست دولة تُدار .

والملك أو الرئيس المذكور يُطاع وهو حىّ يُرزق لا وهو ميت .

ولو كذب عليه كاذب فسيظهر الأمر ، وسيُصحح الأمر فى حياته .

إلى آخر الفروق .

ولما اختفى شخص النبى بموته وأراد الروائيون تمديد الطاعة لما بعد موته ﷺ **تحول شخصه** ﷺ إلى **أشخاص الرواة** جيلاً من بعد جيل .

وهى مغالطة اعتادوا عليها فى جلّ الآيات التى حاولوا إفساد معناها ، فجعلوا شيخهم الراوى بديلاً للنبى ﷺ .

ولو صدقنا أهل الروايات فى زعمهم بأن معنى طاعة النبى هو الروايات الواردة بحسب كل مذهب لكانت الطاعة هنا لما جاء به الرواة وليس للنبى ﷺ ولتحول معنى الآية إلى :

أطيعوا الله وأطيعوا الرواة (بدلاً من الرسول) **فيما يقولونه ويصححونه ، ويضعفونه لعلكم تُرحمون !!**

وهذا سيوقع بدوره فى إشكال أكبر ؛ إذ إن المصدق لهذا الزعم ودون تأثر منه بالبقعة الجغرافية التى يعيش بها سيلزمه أن يدرس الروايات المعروضة فى سوق الروايات لينتقى منها ما يجعله من الطائعين ، وهنا سيجد سوقين كبيرين للرواية أحدهما عند المتسننة ، والآخر عند المتشيعة .

وبالتالى فسيحتاج أولاً لتعلم أساسيات قبول الرواية عند كل منهما ، وعندما يُتقن ذلك (بعد العمر الطويل جدًا) سيصير حَكَمًا (دوليًّا) وخبيرًا روائيًا ، وبالتالى سيستطيع (طويل العمر) أن ينتقى ما يراه صحيحًا مما هو معروض . وسيصير بذلك طائعًا (للرواية) .

وكان الأولى أن ينصّ الله تعالى على طاعة الرواية والروائيين ، ويحددهم ولو باتجاههم : سنة أو شيعة .

ولكن هناك السواد الأعظم من الناس ما بين فلاحين ، وبدو ، وعمال تراحيل ، ونسوة لا يقرأن ، ولا تسمح لهن ظروفهن بالبحث المذكور ، ولا أن يدرس الجميع مذهب الشيعة ، ومذهب السنية حتى يختاروا مما عندهما اختيارًا صحيحًا ؟!

والحل الوحيد أمامهم ليطبقوا " الطاعة " بالمعنى الجديد المخترع (ما داموا لن يأخذوا من الكتاب مباشرة) هو أن يقوم كل أهل مكان بتقليد الرواة الموجودين ببلادهم .

هذا هو المآل الطبيعى لطاعة القوم .

أما الأخذ من القرآن وتدبر آياته **فلا ، وألف لا** ، لأنه قرآن **ناقص عندهم** ، لا يصلح وحده أن يسود ، **ثم هم ينتظرون من الله النصر** فى الدنيا ، **والفوز** فى الآخرة ! !

الحقيقة الثالثة : اقتران الطاعة بالحكم والأحكام .

فحتى الطاعة التى حام وهام حولها وبها الروائيون ليخدموا بها مذهبهم **ليست على إطلاقها** ، بل هى بخلاف ما صوروها به .

فالطاعة المقصودة هنا **هى طاعة الله فى شرعه ، والرسول وأولى الأمر فى تطبيقهم لهذا الشرع** ، ولو نظرنا إلى الآيات التى جاءت هذه الآية فى سياقها لوجدنا قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۞ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۞ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ **(٥٨)** .

ونلاحظ هنا فى هذه الآيات ما يلى :

١ ـ أن الآيات التى تكلمت عن وجوب الطاعة هنا تناولت الحديث عن **الحكم والأحكام** :

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ ﴾ . ﴿ أَنْ تَحْكُمُوا ﴾ . ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾ .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ .

٢ ـ والحكم الشرعى يقوم على : **نصّ تشريعى من الله . وتكييف للقضية المعروضة يقوم به البشر** (القاضى) ، ثم إصدار الحكم **وتنفيذه** .

٥٨ ـ سورة (٤) النساء : ٥٨ ـ ٦٥ .

فالنصّ التشريعى هنا هو ما أنزله الله تعالى .

والمُكَيِّفُ هنا هو القاضى الذى سيقوم بتطبيق هذا الشرع أو النصّ . **والتطبيق يلزمه طاعة .**

فيكون معنى طاعته F هنا فى هذا الموضع هو : طاعته فى حكمه وتطبيقه لشرع الله تعالى كقاض ، وليس كما زين هؤلاء أن طاعة الرسول هى تشريعه ﷺ بخلاف ماً بالكتاب .

ويكون معنى الرد إلى الله سبحانه ، ورسوله ﷺ وأولى الأمر **هو :**

الرد إلى الله باتباع شرعه ، **وإلى الرسول وأولى الأمر كقضاة** فى تطبيقهم لهذا الشرع ، وحكمهم به .

ويوضح أن طاعة الرسول F هى طاعة له كقاضٍ يحكم بشرع الله ما جاء بالآيات نفسها :

﴿ **مِمَّا قَضَيْتَ** ﴾ .

٣ ـ ثم إن المؤمنين على قسمين من ناحية الزمان : قسم عاش أيام الرسول ، وقسم لم يدركه ﷺ .

وهؤلاء الذين عاشوا أيام الرسول هم أيضًا **على قسمين** من ناحية المكان :

قسم عاش النبى وسطهم ، وقسم تباعد المكان بهم (كأهل اليمن والشام مثلاً) .

فالذين تباعد بهم الزمان والمكان مأمورون بطاعة أولى الأمر ، ولا سبيل لهم إلى طاعة الرسول فى تكييف الأحكام أو إلى عرض النزاع عليه F من البداية .

والذين عاشوا معه ﷺ لا سبيل لهم إلى طاعة أحد بخلافه ﷺ .

إذن فهذه الآية ليست كما فهم الخلف على الإطلاق ، ولا يعنى هذا أن طاعة الرسول ليست بواجبة على المؤمنين ، وإنما قصدنا هنا أن نبين انعدام فقه من اعتزى بهذه الآية ليثبت بها هواه الطائفى فى إثبات مصدر للتشريع بخلاف ما أنزله الله (وهو كتابه العزيز كما بيّنا من قبل) .

وإنما نقرر فى البنود القادمة أن طاعة الرسول ﷺ واجبة على كل مسلم ، كما كانت طاعة الرسل عموماً واجبة على المؤمنين عامة . مع تبيين أن طاعة الرسول ﷺ إنما هى طاعة لله تعالى ولكتابه الذى أرسله مع رسوله للناس كافة ، وليس كما زعم الخلف أن طاعة الرسول هى طاعة للأحاديث التى جاء بها الرواة .

ونفس الشيء سنجده إذا ما تدبرنا قول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ **وَأَطَعْنَا** ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ **لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ *إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ **لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** أَنْ يَقُولُوا **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ **(٥٩)** .

وهنا وجدنا فى الآيات قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ .

فالآيات تدور حول الحكم بين الناس .

ولم يقل الله تعالى " وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَا بَيْنَهُمْ " ، بل قال تعالى **(لِيَحْكُمَ)** ليبين سبحانه أن الحكم واحد لا يختلف بين الله وبين رسوله ، فهو ﷺ يحكم بكلام الله الثابت بكتابه .

ونجد أيضًا قوله تعالى :

٥٩ ـ سورة (٢٤) النور : ٤٦ ـ ٥٤ .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ .

فبين سبحانه أن السماع يكون للأحياء ، وأن الطاعة تكون للأحياء أيضًا ، وأن المؤمنين كان موقفهم عندما حكم رسول الله بينهم أن قالوا: سمعنا وأطعنا .

هذا هو معنى الطاعة الواردة بالآيات ، فأين منها التحول الطارئ عليها بتحويلها إلى الروايات والمشايخ ؟!

ونجد قوله تعالى :

﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .

فالطاعة اقترنت بالحكم بين فريقين من الناس . واقترنت بما بلغه الرسول إلى الناس ، وهو كقوله ﷻ :

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٦٠) .

ويكون معنى قوله ﷻ :

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . ﴾ إلى قوله :

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ هو :

أن الطاعة واجبة على كل من سمع النبى بالرسالة أو بحكمه

F وهو فى جميع الأحوال : **بلاغ بالقرآن ، وحكم بالقرآن .**

الحقيقة الرابعة : الطاعة فى النهاية هى للكتاب المنزل

إذ إن الحكم لا يكون إلا بالكتاب ؛ فالطاعة فى النهاية له :

١ ـ فلو طالعنا آيات الكتاب التى جاءت بخصوص الاحتكام فسنجدها كلها تنصّ على هذه الحقيقة ، ومن ذلك قوله مُدرك الأبصار :

٦٠ ـ سورة (٦) الأنعام : ١٩ .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ **فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنْ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ .

وهو نصّ واضح فى أن مرجع النبى فى الحكم هو كتاب الله . ويقول أيضًا من لا تدركه الأبصار :

﴿وَأَنْ **احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ .

ثم الآية التى تليها وفيها :

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا** لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

إذن فالنبى F يحكم بما أنزل الله كما جاء هنا :

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ ، و :

﴿ وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ ، و :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ .

٢ ـ ولذا نجد أن الله تعالى قد نصّ على أن النبى يرجع فى التشريع إلى حكم الله، وذلك وضحته آيات كثيرة ، منها :

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ **(٦١)** .

و كذلك قوله فالق الإصباح :

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ **(٦٢)** .

٦١ ـ سورة (٤٢) الشورى : ١٠ .
٦٢ ـ سورة (٢) البقرة : ٢١٣ .

الحقيقة الخامسة : والحكم عند الأمم السابقة كان بالكتاب

فنجد أن الله يخاطب رسوله ﷺ فى أمر اليهود الذين جاءوا يطلبون من النبى أن يحكم بينهم ، وتركوا حكم الله الذى عندهم فى التوراة ؛ فيقول سبحانه مشنعًا عليهم :

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّه ﴾ **(٦٣) ! !**

مع أن النبى سيحكم بينهم أيضاً بحكم الله ، ولكن التعجب هنا من كونهم يكفرون بالرسول وكتابه ، ويزعمون الإيمان بالتوراة ، ثم يلجأون لغير التوراة وقد أمروا بالتحاكم إليها .

ثم إن قوله تعالى :

﴿ وَعِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّه ِ ﴾

يبين أن الحكم عند الذين هادوا كان بالكتاب لا الروايات (وإن اخترعوا بعد ذلك كتبًا أُخرى كالتلمود وغيره) .

ويؤكده ما جاء بقوله تعالى بعدها (٦٤) :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ .

ويتضح نفس الشيء بقوله تعالى :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ **(٦٥)** .

الحقيقة السادسة : الطاعة هى للكتاب المفصل

إذ إن الحكم يكون بالكتاب الذى يحتوى على كل التفاصيل التى يحتاجها القاضى ، مما جعله مرجعًا صالحًا بذاته ، لايحتاج مددًا

٦٣ ـ سورة (٥) المائدة : ٤٣ .
٦٤ ـ سورة (٥) المائدة : ٤٤ .
٦٥ ـ سورة (٥) المائدة : ٤٧ .

خارجيًا .

ولكن أهل التشيع وأهل التسنن قد زعموا أن الكتاب يأتى بالإجماليات والكليات ، وأن السنة والأئمة يأتون بالتفصيل والجزئيات.

ولذا فإن السنة عند كل من الشيعة والسنة **كانت هى الحكم فى التنازع** .

وهذا نفاه قول الرسول الذى نقله القرآن وفيه :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ ﴾ **(٦٦)** .

وهو يوضح أن النبى نفسه يتحاكم إلى الله تعالى وفقط ، بل ويستنكر أن يكون هناك حكم غيره !

ولماذا سيحتاج حكماً غيره ؟!

ولكن أهل الحكايات قالوا :

إن علة ورود هذه الروايات والتشريع (المفترى) هو أن الكتاب لم يفصل فجاءت السنة لتفصل !

ولذا فهى حكم ، وينبغى طاعتها فيما شرعته !

وهذا يرده فيضان من الآيات منه هنا قوله سبحانه :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ .

فقضى بيان رب العالمين **(الذى وضح أن الكتاب مفصل)** على أى شبهة قد يثيرها هؤلاء .

وها هو النبى نفسه يطيع الله ويحتكم إليه وإلى كتابه المفصل . فهل يخشى هؤلاء الله أم يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً ؟!

ولذا فقد سمى سبحانه كتابه الحكيم بالحكم كما قال جَلّ فى علاه :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (٦٧) .

---

٦٦ ـ سورة (٦) الأنعام : ١١٤ .
٦٧ ـ سورة (١٣) الرعد : ٣٧ .

فلو نظرنا إلى النصوص القرآنية نظرة تدبر لوجدنا أن الأمر قد جاء للنبى (كثيرًا) باتباع القرآن وعدم طاعة غيره ، ولنطالع بعض ذلك :

- **ففى قول الله تعالى :**

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ **(٦٨)** .

نجد أن الله ينهى رسوله عن طاعة الكفار مع تلاوة ما أوحى إليه ﷺ من كتاب ربه .

- **وفى قوله تعالى :**

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

نجد أن الآيات ظلت تتحدث عن القرآن ، وأنه منزل من عند الله ، وأنه قد هُجر من قوم الرسول F ، إلى أن قال سبحانه :

﴿ فَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ **(٦٩)** .

فأمر سبحانه رسوله ﷺ بعدم طاعة الكفار !

- **وكذلك فى قوله** سبحانه من سورة الأنعام من أول :

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ . . ﴾ .

إلى قوله تعالى :

---

٦٨ ـ سورة (١٨) الكهف : ٢٧ ـ ٢٨ .
٦٩ ـ سورة (٢٥) الفرقان : ٥٢ .

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٧٠) .

نجد أن الله تعالى يأمر رسوله ﷺ باتباع ما أوحى إليه (وهو القرآن فقط كما سبق تحقيق ذلك) مع الإعراض عن المشركين ، وبيان أن :

" الجمهور" يُضلون عن سبيل الله لاتباعهم الظن !!

- وكذلك نجد قوله جل فى علاه :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٧١) .

الذى يبين أن النبى قد نُهى عن طاعة الكفار والمنافقين ، وأُمِر باتباع ما يوحى إليه من ربه .

وهكذا نجد أن المعنى قد تبلور فى الدعوة التى جاءت (بالقرآن) باتباع وطاعة النبى ﷺ وصارت الطاعة تحديداً هى :

طاعة الرسول فيما جاء به من القرآن .

الحقيقة الثامنة : الاتباع واجب لمن لم يُدركه ﷺ

فطاعة النبى الحقيقية لمن لم يُدركه (نصاً) هى اتباع ما اتبعه ﷺ ، والنكوص عن اتباع ما اتبعه ﷺ هو معصية لله ولرسوله .

وهذا الذى نقوله هنا يستدعى أن **نوضح بالنصوص ماهية الذى كان يتبعه ويطيعه النبى ، وبالتالى يأمر به F غيره .**

فلو وجدنا أنه هو الوحى فقط (أى القرآن المنزل على النبى فقط)

٧٠ ـ سورة (٦) الأنعام : ١٠٦ ـ ١١٦ .
٧١ ـ سورة (٣٣) الأحزاب : ١ ـ ٢ .

فلن يكون هناك مجال للقول بوجود مصدر آخر للتشريع بخلاف القرآن ، أو أن هناك وحيًا بخلاف القرآن .

١ ـ فعندما قال مُنَزِّل القرآن سبحانه :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ **(٧٢)** .

فقد بين سبحانه تفصيل ما كان النبى نفسه يتبعه ، وبالتالى يأمر به ليطاع فى حياته ﷺ ، ويُتَّبع بعد مماته ﷺ . وعلمنا مما سلف أن النبى كان يتبع القرآن هو والمؤمنون رضي الله عنهم ، كما فى قوله تعالى :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، و :

﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ، وكذلك قوله ﷺ المنقول بالقرآن :

﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ ، و :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ ، و :

﴿ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ ، و :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا . . . ﴾ .

إلى آخر الآيات التى سبق إيرادها لبيان الواجب اتباعه . **وعلمنا أن غير القرآن معدوم الذكر .**

ولتعميق ما سبق إيراده فى قضية الواجب اتباعه ، وربط ذلك بالطاعة التى اشتبه للخلف ربطها بالسنة **التى جاء بها الرواة** ، وبيان أن الطاعة المقصودة هى طاعة ما جاء به النبى من قرآن فقط فلنتدبر سوياً هذه الآيات :

٢ ـ قوله F بما أمره الله تعالى به بنصّ القرآن :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

٧٢ ـ سورة (٤) النساء : ٦٤ .

الدِّينَ ﴾ (٧٣) .

فعندما يأمر النبى ﷺ بالقسط وإقامة الوجه عند كل مسجد ، فستكون طاعته هى طاعة لله .

وكذلك :

﴿ قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (٧٤) .

فعندما يأمر النبى بإقامة الصلاة والإنفاق . . الخ ، فستكون طاعته ﷺ هى طاعة لله .

وكذلك قوله جل فى علاه :

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . ﴾ (٧٥) .

وقوله : ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ . . ﴾ (٧٦) .

وما إلى ذلك من أوامر أُمر النبى أن يأمر بها المؤمنين (من خلال القرآن) ، فتكون طاعتهم لهذه الأوامر هى طاعة لله ورسوله .

٣ ـ بل إن النبى نفسه ﷺ أُمر كالناس ، وأطاع كالناس :

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٧) ، و :

﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ (٧٨) .

٤ ـ وعندما يقول موسى لليهود :

---

٧٣ ـ سورة (٧) الأعراف : ٢٩ .
٧٤ ـ سورة (١٤) إبراهيم : ٣١ .
٧٥ ـ سورة (١٧) الإسراء : ٥٣ .
٧٦ ـ سورة (٣٩) الزمر : ١٠ .
٧٧ ـ سورة (١٠) يونس : ١٠٤ .
٧٨ ـ سورة (٢٧) النمل : ٩١ ـ ٩٢ .

﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ (٧٩) .

فالطاعة هنا فى حقيقتها طاعة لأوامر الله تعالى !

٥ ـ وكذلك فعندما يقول تعالى لنبيه :

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (٨٠) .

فقد توجب على أهل النبى طاعته لأنها طاعة لله .

ونلاحظ أيضاً أن المأمور به قد جاء بنص التنزيل والوحى .

٦ ـ وعندما يقول عيسى ﷺ :

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ (٨١) .

فقد عُلِمَ أن عيسى عليه السلام قد أمر اليهود ، وأن هذا الأمر هو أمر الله فى الحقيقة .

وبرغم كل هذه الحقائق التى أوردتها هنا فما زال الروائيون يبنون عقيدتهم وفقههم (كما جاءت عند الفرقتين) على ظن (وهى الدلالة الظنية) ولذا دخلت عليهم البلايا فى دينهم من كل حدب ؟!

هذا والله أمر عجيب من الروائيين !

وننتقل الآن إلى مناقشة قولهم :

إن لفظ الحكمة الوارد بالقرآن يعنى السنة :

❁ ❁ ❁

---

٧٩ ـ سورة (٢) البقرة : ٦٨ .
٨٠ ـ سورة (٢٠) طه : ١٣٢ .
٨١ ـ سورة (٥) المائدة : ١١٧ .